الفصل الثاني

مفهوم الإعلال

obeikandl.com

يتناول هذا الفصل مفهوم الإعلال لغة واصطلاحًا، ويشرح الفرق بين القلب والإبدال، مبيّنًا الخلط الذي وقع فيه القدماء والمحدثون عند تناولهم المصطلحين.

المفهوم الوضعي:

يدور مفهوم العلّة الوضعي حول معاني الصّغر والضّعف، ففي المعاجم: العَلّ: القُراد المهزول، والرّجُل المسِنّ، الصّغير الجثّة، يشبه بالقرادة، وأعلّتُ الإبلَ: إذا أصدرتها قبل ريّها، والعِلّة: المرض، وحدَث يشغل صاحبه عن وجهه، كأن تلك العِلّة صارت شغلاً ثانيًا يمنعه شغله الأوّل[1].

وأمّا الإعلال فهو مصدر الفعل: أعلّ، كما تقول: إكرامًا، من: أكرَمَ، والاسم "العلّة" بفتح العين وكسرها، فما كان بالفتح يطلق على عدّة معان؛ منها: العَلاّة، وهي الضّرّة، ويجمع على عَلاّت، يقولون في الأبناء الّذين هم من رجل واحد ومن أمّهات شتّى: بنو العَلاّت، ويقابلهم: بنو الأخياف، وهم بنو الأمّ الواحدة من آباء شتّى[2].

أمّا العلّة بالكسر فمعناها: المرض، وعند الفلاسفة: كل ما يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال، أو بوساطة انضمام غيره إليه، فهو علّة، وذلك الأمر معلول له، وقد أجاز بعضهم أن يصاغ اسم المفعول من

---

(١) الصّحاح والتّاج واللّسان (علل).
(٢) نفسه.

"أعلّ" على زنة مفعول، فيقولون: هو معلول، هذا الرّأي قيل عنه: إنّه من النّوادر، ولذلك تجرأ بعضهم ونهى عنه بصريح اللّفظ، فقال: "لا تقل: معلول، بل: مُعَلّ، بفتح العين، وعليل"[1].

المفهوم الاصطلاحي:

الإعلال، بمعناه الاصطلاحي، هو "تغيير حرف العلّة للتحقيق"[2]. فمعنى الإعلال: ما تتعرض له أحرف العلّة من تغيير، محلول بعضها محلّ بعض نحو: سياقة، وأصلها "سواقَة" وهو ما يسمّونه: الإعلال بالقلب، أو بحذف حرف العلة، نحو: يَعِدُ وأصلها: يَوْعِد، ويسمونه: الإعلال بالحذف، أو بنقل حركة حرف العلة إلى حرف صحيح، نحو: يسيرُ، وأصلها: يَسْيِر، وهو ما يسمّونه الإعلال بالنّقل، أو بإسقاط الحركة، نحو: يجري، وأصلها: يَجريُ، وهو الإعلال بالتّسكين. والحالتان الأخيرتان متشابهتان؛ لأنّ مدار الأمر فيهما على تسكين حرف العلة، بنقل حركة أو بإسقاطها.

والإعلال، كما يدرسه هذا البحث، هو التغيير الّذي يطرأ على الأحرف الأربعة: الألف والهمزة والواو والياء، وعلى الحركات.

فجملة ما يدخله الإعلال هو هذه الأحرف الأربعة، والحركات سواء أكانت الحروف ساكنة أم محركة بالحركات الثلاث المعروفة في لغتنا، وهي الفتحة والكسرة والضّمة.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٨/١، مط، السعادة ١٩٦١م وينظر: تعليق المحقّق.

(٢) التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٨٨، ٣م، ص:٢١.

والحالة الشديدة من الإعلال هي التي تكون فيها أحرف العلّة ساكنة، لذلك سمّوها في مثل هذه الحالة بالحروف اللّيّنة، فإذا تحركت هذه الأحرف، قويت بالحركة. وتعليل ذلك عند ابن جنّي[1]: أن هذه الحروف لمّا تحرّكت قويت بالحركة، فلحقت بالحروف الصّحاح. وهي تقوم بوظيفة الأصوات الصّامتة، وتقع موقعها في التركيب الصّوتي للّغة العربية، نحو: وَجَدَ، يَجِدُ، أجِدُ، وأنها مثلها قادرة على التفريق بين المعاني، ولكنّها تظلّ دونها من حيث الصّلابة والثبات، يدلّ على ذلك أنّ الحروف الصّحاح تثبت في جميع تصاريف الكلمة، إلاّ في حالات نادرة، سمّاها النّحاة: الإبدال. وكثيرًا ما يخلط الدّارسون بين الإعلال، والإبدال، خصوصًا عند الحديث عن مظاهرهما.

بين القلب والإبدال:

إذا كان الإعلال يخصّ التّغيير الحاصل في أصوات العلّة الأربعة، وفي الحركات، فإنّ الإبدال يكون فيما عدا ذلك من الأصوات الصحيحة، لكنّ القدماء، وكثيرًا من المحدثين، يكثرون من استعمال كلا الاصطلاحين لنفس المعنى توسّعًا[2].

ولو رجعنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه يكثر من ترديد مصطلح "الإعلال" و"الحروف المعتلة" وهو يعني الألف والياء والواو، مثل قوله: "هذا باب نظائر ما مضى من المعتل"[3]، وقوله: "هذا باب ما لحقته الزوائد من هذه الأفعال المعتلة من بنات

---

(١) سر الصناعة، ص:٢٠-٢٢.

(٢) ينظر: المنهج الصّوتي، ص:١٦٧.

(٣) الكتاب ٤/٢٢٠.

الثلاثة"[1]، وقوله: "هذا باب ما اعتل من أسماء الأفعال المعتلّة على اعتلالها"[2] وغير هذا كثير.

والملاحظ أنّ سيبويه يخص الإعلال بأحرف العلّة الثّلاثة المعروفة عند الجمهور، فإذا أراد غيرها سمّاه إبدالاً، كقوله: "هذا باب اطّراد الإبدال في الفارسيّة"[3]، وحديثه ههنا كلّه عن إبدال الحروف الصّحاح فإذا أراد الحديث عن التغيير الذي يصيبها قال: "ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في زَوْر وأثوب، فيقولون: زُور وأُثوب؛ وهو التّخليط[4].

فتعبيره عن قلب الحركة بقوله: تغيير ، يدل على أنه لا يرى أن هذا التغيير إبدال ، وإلا سماه إبدالاً.

إلا أن الخلط بين مظاهر الإعلال وبين الإبدال متفش عند القدماء بشكل واضح، وخاصة بين الإبدال والقلب، وأول ما نجد هذا الخلط عند أبي عمرو بن العلاء، حين يستعمل مصطلح القلب، وهو من مظاهر الإعلال ، للدلالة على الإبدال ، يقول: "وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضًا إلى الجيم"[5]. وكان الخليل بن أحمد يستعمل القلب بمعنى الإبدال ، كقوله في التعليق على بيت للعجاج أبدل فيه الألف من نون التوكيد الخفيفة: "أراد ، والله أعلم ،: ما لم تعلمنْ... فقلب النون ألفًا عند الوقف"[6].

---

(١) الكتاب ٤/٢٤٥.
(٢) نفسه ٤/٢٤٨.
(٣) نفسه: ٤/٣٠٥-٦، ٣.
(٤) نفسه ٤/٣.
(٥) الإبدال لأبي الطيب ١/٢٦٠.
(٦) الجمل للخليل ، ص ٢٣٨.

أما سيبويه فكان يستعمل القلب في أغلب الأحيان للدلالة على القلب المكاني[1]، وفي بعض الأحيان على القلب الإعلالي[2]. غير أنّه استعمله في بعض المواضع بمعنى الإبدال، ومن ذلك قوله عن إبدال التاء طاء في فعلت: "وأعْرَبُ اللّغتين وأجودهما ألاّ تقلبها طاء، لأنّ هذه التاء علامة الإضمار"[3]. والموضع هو موضع الإبدال لا القلب، ومنه أيضًا قوله: "كما لم يمنع في السّمالين قلب السين صادًا"[4] والمراد إبدال السين صادًا.

وكان ابن الأعرابي يستعمل أيضًا القلب موضع الإبدال، كقوله: "تَلَعّيْت من اللّعاعة ، والأصل: تَلَعّعْت، فقلبت العين ياء"[5]. واستعمل ابن السكّيت القلب بمعنى الإبدال أيضًا في كتابه: "القلب والإبدال"[6]، قال: "قلبت الحاء إلى الهاء، لأنها أختها"[7].

وأما المازني فقد كان يفرّق بين الإبدال والقلب، فيستعمل الثاني بمعنى الإعلال، غير أنه كان يتساهل أحيانًا ويستعمل القلب بمعنى الإبدال وذلك كقوله: "باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها، ويتكلم بها على الأصل البتة"[8]. ولم يكن المبرّد لينجو من هذا الخلط ، فقد كان يكثر من استعمال القلب بمعنى الإبدال، كقوله: "اعلم أنّك إذا قلت: افتَعلَ مُفتَعِل، وما تصرّف منهما، فإنّ الواو من هذا الباب

---

(١) الكتاب ٣/٤٦٥، ٤٦٨، ٤/٣٧٧، ٣٧٥، ٢٨٠.
(٢) نفسه ٤/٢٢٥، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٥.
(٣) نفسه ٤/٤٧٢ وذلك في قولهم: خَبَطَ في: خَبَطْتَ.
(٤) نفسه ٤/١٣٣، ٣٣٨.
(٥) الإبدال ٢/ ٣٢٥.
(٦) اختلف في تسمية هذا الكتاب بهذا العنوان.
(٧) نفسه ص: ٩٢، وينظر: ص: ١٣٣، ١٣٩.
(٨) المنصف ٢ / ٣٢٤.

تقلب فيه تاء[1]، والمراد: تبدل. ومنه قوله عند الحديث عن إبدال النّون: "وتقلب مع الباء فيما إذا كانت ساكنة"[2].

وفي القرن الرّابع نجد أنّ ابن السّرّاج كثيرًا ما يستعمل القلب للدّلالة على الإبدال ، كقوله: "تقلب التاء من الواو في موضع الفاء قلبًا مطردًا"[3]: كقوله "وتقلب قلبًا غير مطّرد"[3]. والمقصود: الإبدال. ويستعمل أحيانًا المصطلحين في عبارة واحدة للدّلالة على معنى الإبدال، قال "إبدال الدّال من التاء في افتَعَل، قلبًا مطّردًا إذا كان قبل التّاء حرف مجهور ، زاي أو دال"[4] فقال: تبدل ، ثم قال: قلبًا.

ومن لغويّي القرن الرابع الذين خلطوا المصطلحين أبو الطّيب، يقول: "وطيّئ تقلب كلّ صاد ساكنة زايًا"[5]. وكان ابن جنّي هو الآخر يتجوّز في استعمال هذين المصطلحين، أحدهما بدل الآخر، من ذلك قوله: "أصل القلب في الحروف إنّما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدّال والطّاء والتّاء"[6]، وقوله: "وقد قلبوا تاء افتَعَل أيضًا مع الذّال لغير إدغام دالاً"[7].

وكما استعمل النحاة واللّغويون مصطلح القلب للدّلالة على الإبدال، استعملوا أيضًا مصطلح الإبدال للدلالة على الإعلال،

---

(١) المقتضب ١/٩١.
(٢) نفسه ١/٢١٦ وينظر فيه الصفحات ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٥.
(٣) الأصول ٣ / ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠.
(٤) الإبدال ٢/ ١٢٦، ١٢٧.
(٥) الإبدال ٢/ ٣٢٥.
(٦) سر الصناعة، ص:١٨.
(٧) نفسه، ص:١٨٧ وينظر منه، ص:١٤٧، ١٤٨.

فأبو عثمان المازني يقول: "وتبدل الياء واوًا في فُعْلَل وفُعِلل: فِعْلاً"[1] فيستعمل مصطلح "تبدل" والأصح أن يقول: تقلب، ثم يقول: "وإذا كانت الياء والواو قبلهما فتحة، وأصلهما الحركة، أبدلتا ألفين"[2] والمراد: قلبتا.

واستعمل المبرّد البدل عوض القلب فقال: "فمن حروف البدل حروف المدّ والسّين المصوّتة، وهي الألف والواو والياء، فالألف تكون بدلاً من كلّ واحدة منهما"[3] ثم قال عن الياء: "وتبدل من الواو إذا كانت رابعًا فصاعدًا"[6]. أمّا ابن السّرّاج فإنّه يستعمل مصطلح الإبدال، ويجعله شاملاً للإبدال والإعلال بالقلب، فهو يقول: "الألف تبدل من الباء والواو والهمزة والنّون الخفيفة"[4] وهو يريد: الألف تقلب من الواو والياء.

والسّيرافي يتكلّم على قلب الياء من الواو، فيقول: "فبدلها فاء قولهم: ميزان"[5]. وكان أبو علي الفارسيّ أيضًا يستخدم مصطلح الإبدال موضع القلب، فقد عنون المسألة الرّابعة من "المسائل العضديّات"[6] بقوله: "مصادر (ذكر) وإبدال المسألة الرّابعة في: يَذكر، وإبدال الواو من الياء في تَقْوى"[7]. وكان ينبغي أن يقول: وقلب الواو من الياء ... وكذلك فعل تلميذه ابن جني، قال في

---

(١) المنصف ٤٢/٢.
(٢) نفسه ١١٦/٢.
(٣) المقتضب ٢٦/١.
(٤) الأصول ٢٤٦/٢.
(٥) السيرافي النحوي، ص:٥٦٩.
(٦) سرّ الصناعة، ص:١٨.
(٧) المسائل العضديات، ص:١٠ وأصل الواو في تَقْوى ياء، ينظر: سرّ الصناعة، ص:١١ – ٨٩.

الباب الذي خصّصه للإبدال في كتابه: "التّصريف المُلُوكي": "وحروف البدل من غير إدغام أحد عشر حرفًا"[1]. ثم يعنون كلامه على هذه الحروف بالإبدال فيقول: إبدال الألف، وإبدال الياء[2]، وإبدال الهمزة[3]. وفي موضع آخر عن الياء: "أبدلت من الألف إذا انكسر ما قبلها نحو: قَراطيس ومَفاتيح، فالياء فيها بدل من الألف قِرْطاس ومفتاح، ومن الواو إذا سكنت وانكسر ما قبلها"[4].

وأحمد ابن فارس من اللّغويين الذين استعملوا مصطلح الإبدال دون سواه، من ذلك أنّه يقرّر أن الإبدال سنّة من سنن العرب[5]؛ فيعمّم مصطلح الإبدال ليشمل ما هو إبدال وما هو إعلال بالقلب. ومثل هذا الخلط بين القلب والإبدال كثير جدًّا في كتب المتقدمين من النّحاة واللغويين[6].

يتبيّن من استعراض استخدامات النّحاة واللّغويين لمصطلحي الإبدال والقلب أنّ المصطلح لم يكن محدّدًا بشكل واضح في أذهان علماء القرون الأولى، بل كانوا يتجوّزون في استعمال المصطلحات بعضها مكان بعض، ويتسهّلون في ذلك، رغم أنّهم

---

(١). التعريف الملوكي، ص: ٢٧.

(٢) نفسه، ص:٣٦.

(٣) نفسه، ص:٧.

(٤) الصّاحبي في فقه اللّغة، ص:٢٠٣.

(٥) ينظر مثلاً السيرافي النحوي، ص:٥٧٢، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٨ والمفصل للزمخشري، ص: ٣٧٨ وشرحه لابن يعيش ٣٨/١٠، ٥١-٥٢ وأمالي القالي ١٧٢/٢ والمخصص لابن سيدة ٢٦٧/١٢، ٢٧٢ والممتع في التصريف لابن عصفور، ص:٣٢٦- ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٥٩ وابن عصفور والتصريف فخر الدين قباوة ص: ١٨٥، ١٨٦، ١٩٤ وشرح الشافية ١٩٧/٣، ٢٠٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

حدّدوا المراد بكل من القلب والإبدال، ويبدو أن الّذي ساعد على هذا التّساهل وحسّنه في نفوس النّحاة واللّغويّين أن المواضع التي كثر فيها استعمال مصطلح القلب موضع الإبدال هي مواضع كثر مجيء حرف العلّة فيها مبدلاً أو مبدلاً منه، فكون حرف العلّة طرفًا في المعادلة سوّغ للنّحاة أن يعبّروا عن الظّاهرة بأنّها قلب، رغم إقرارهم أنّ هذا من الإبدال لا من الإعلال بالقلب.

أمّا المواضع الّتي يكون فيها المبدل والمبدل منه حرفي علّة فإنّ النّحاة لا يرون في التعبير عن قلب أحدهما إلى الآخر بأسًا من استعمال المصطلحين: الإبدال والقلب، لأنهم يرون أنّ كلّ قلب إبدال وليس كلّ إبدال قلبًا، لأن البدل أعمّ وأشمل من القلب[1]. وظلّ هذا الخلط إلى يومنا هذا، إذ نجد من المحدثين من يعرّف الإبدال بقوله: "ومعناه: حذف حرف ووضع آخر مكانه بحيث يختفي الأول ويحل في موضعه غيره، سواء أكان الحرفان من أحرف العلة... أم كانا صحيحين أم مختلفين، فهو أعم من القلب، لأنه يشمل القلب وغيره، ولهذا يستغنون بذكره عن القلب"[2].

وعرّف آخر الإبدال بعد أن تحدّث عن الإعلال بقوله: "ومعنى الإبدال أعمّ من ذلك لأنّه يشمل جميع حالات التبادل بين الأصوات الصحيحة والمعتلّة فإذا خصّ التغيير في أصوات العلّة بمصطلح الإعلال كان مدلول الإبدال فيما عدا ذلك بمقتضى التخصيص الاصطلاحي، ولكنّ القدماء استعملوا كلا

---

(١) ينظر توضيح المقاصد للمرادي ٤/٦، حيث يشرح الفرق بين الإبدال والإعلال، وينظر: المخصّص ٢٦٧/١٢.

(٢) النحو الوافي عبّاس حسن ٤٥٧/٤.

الاصطلاحين للمعنى نفسه توسّعًا"[1].

نلاحظ أنّ رأي الرّجلين لا يتفق وما أراده القدماء من المصطلحين، لأنهما جعلا استعمال المصطلحين للدّلالة على المعنى الواحد قاعدة، فكأنّ لفظي بَدَل وقَلْب ليسا مصطلحين ليجوز استعمال أحدهما مكان الآخر، والواقع أنّ الأمر ليس كذلك عند القدماء، لأنّهم فرقوا بين المصطلحين في الاستعمال[2]، لكن القدماء كعادتهم في التعامل مع المصطلحات، قد يستعملون مصطلح الإبدال توسّعًا ليشمل القلب أيضًا[3]، وهذا من باب التجوّز، ولو التزموا الدقة في التعبير بالمصطلح، لاستعملوا كلّ مصطلح لما وُضِع له. ويظهر أنّ الذي حمل القدماء على كثرة هذا التجوّز غلبة المفهوم الوضعي في أذهانهم، يضاف إلى ذلك أنّهم لم يكونوا أحيانًا يحتفلون كثيرًا بتحديد المصطلحات، والتزام المفاهيم الاصطلاحية.

والذي نراه في هذه المسألة أنّ القلب مظهر من مظاهر الإعلال، يجري على أربعة أحرف ليس غير، هي الألف والهمزة

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ص:١٦٧.

(٢) قال ابن سيدة: "والفرق بين البدل والقلب في الحروف أنّ القلب يجري على التقرير في حروف العلّة ومناسبة بعضها لبعض، وشدة تقاربها ... فأمّا في غيرها فيجري على البدل لتباعد ما بين الحرفين" المخصص ٢٦٧/١٢، وينظر حاشية الصبّان ٢٧٩/٤.

(٣) يقول ابن يعيش في شرح المفصل ٧/١٠/ "البدل على ضربين: بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره نحو تاء تخمة وتُكَأَة، وبدل هو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره، على معنى إحالته إليه، وهذا إنّما يكون في حروف العلّة، التي هي الواو والياء والألف وفي الهمزة أيضًا لمقاربتها إياها ... فكلّ قلب بدل وليس كل بدل قلبًا".

والواو والياء، وما سواها يجري عليه الإبدال، وهذا أمر قرّره القدماء وأقرّه المحدثون، وينبغي أن نأخذ به لتكون المصطلحات التي نستخدمها أكثر دقّة، وهذا أمر نعتبره منهجيًا فقط، لا كما قال بعض النّحاة: إن في الإبدال حذفًا لحرف وإحلال آخر محله، وأن ليس في القلب تغييب للحرف المقلوب[1].

لكننا نرى أنّ في الموضعين عمليّة واحدة هي تغيير للحرف بحيث يحلّ الثاني إحلالاً تامًّا محلّ الأوّل، فلو قلنا: كساء، فإن المتكلم أو السّامع لا يستحضر في ذهنه أن الهمزة جاءت في موضع الواو، وأن أصلها: كِسَاوٌ، فهي مسألة لا يقف عندها إلاّ دارس، يتعمد أن يعرف أصل الهمزة، ولو قلنا: اتّصلَ فإن التاء تكون حلّت محلّ الواو حلولاً تامًّا، ولا يتصوّر أنّ الواو لم تغب وأنها حاضرة في ذهن السّامع أو المتكلم، إلاّ من تعمّد أن يشير إلى أنّ اتّصل من وَصَلَ، وأنّ التاء مبدلة من واو، وهو أمر يهمّ الدارس لا المتكلم أو السامع.

يتبيّن من هذا ألاّ فرق بين الظاهرتين إلاّ في أنّ القلب يكون لحرف العلّة، والإبدال للحرف الصّحيح، أو حلول حرف صحيح محلّ حرف علّة، أمّا من حيث تصوّر أو استحضار الحرف المبدل منه أو المقلوب فالأمر في الحالتين سواء.

يبقى أن أشير هنا إلى حالة واحدة أقترح أن نجعلها في الإعلال، ويراها النّحاة من الإبدال، وذلك حين يحلّ حرف العلة محلّ الحرف الصّحيح، مثل: أمْلَيْتُ من أمْلَلْت، وتَقَضَّى من تَقَضَّض، وقصّيت من قَصَصْتُ، وأمثال ذلك، ففي مثل هذه

---

(١) المرجع السابق.

الشواهد يحلّ حرف العلّة – وهو حرف ضعيف هيّن، ليس جلدًا ولا صلبًا – محلّ حرف هو أصلب منه وأقوى، ويكون اللّفظ قد تحوّل حينئذ من لفظ قويّ البنية، بحروفه الصّحاح، إلى لفظ عليل ضعيف، قابل للتصرّف في أحد أجزائه بسبب وجود حرف العلّة في آخره، و(الآخر) موضع التّغيير، وهو أضعف المواضع وأكثرها عرضة للإعلال، وإذ يجري هذا على مثل هذه الألفاظ فإنّنا نعبّر عنها بأنّها معتلّة، أي فيها حرف علّة، وما يجري على هذه الحروف من حذف أو تغيير ينبغي أن نسميه إعلالاً لا إبدالاً.

فلو عرّضنا هذه الألفاظ وأمثالها للتغيير كأن نقول: هي أمْلَتْ، لتبيّن لنا أنّ الّذي حدث في اللّفظ هو إعلال حقًّا، ولا حظّ للإبدال في ظاهرة الحذف هذه، لذلك أمكن أن يقال: إنّ في مثل هذه الألفاظ إعلالاً. أمّا وضع حرف صحيح محلّ العلّة فهو إبدال، لا إعلال، لأنّه بالمفهوم الّذي ذكرته يكون اللّفظ قد تقوّى بالحرف الصّحيح، وكان ضعيفًا بوجود حرف العلّة، ومن ثمّ قلّ تعرّضه لظواهر الإعلال المختلفة.